ابن مريم المديوني مفهرس المدونات الصوفية بتلمسان الزيانية.

Ibn Maryam al-Madioni Indexer of Sufi blogs Tlemcen Zayania.

د. أحمد مزيان *

جامعة الجزائر 02.

Ahmmez91@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/09/6 تاريخ القبول 2021/12/22 تاريخ النشر 2021/12/31

ملخص:

لم تزل الكتابة الصوفية منبعا ثرّا لكل من يروم ترتيب الفكر الإسلامي طوال قرونه التي استقر بها حتى غدا أحد العقول العالمية، حيث سعى الصوفية مثل غيرهم من العلماء ذوي الحقول المعرفية الأخرى إلى تدوين فكرهم وتاريخهم، ولم يخرج هذا الأخير شكلا عما عهدته الكتابة التاريخية عند غيرهم، بيد أنهم مزجوا السرد الصرف للواقع بلمسة ذوقية تشحذ همم السالكين، فذكروا مناقب الأشياخ وبينوا منازلهم، ودرجاتهم، وديدنهم الذي به ارتقوا، ولم تخل الترجمات من بيان ما أخذوا من المناهج العلمية، مما يضع القارئ ـ لو جزئيا ـ في المشهد الثقافي المراد رصده والبحث عنه.

الكلمات المفتاحية: الكتابة التاريخية؛ المغرب الأوسط؛ ابن مريم المديوني؛ التدوين الصوفي المنقبي؛ التمثل المقدس.

Abstract:

Sufi writing is still a rich source for anyone who seeks to arrange Islamic thought throughout its centuries in which it settled until it became one of the world minds, as Sufism, like other scholars with other fields of knowledge, sought to write down their thought and history, and the latter

* المؤلف المراسل

did not come out of what was entrusted to historical writing by others. However, they mixed the pure narration of reality with a tasteful touch that sharpens the minds of the walkers, so they mentioned the virtues of the sheikhs and indicated their homes, their ranks, and the worms by which they ascended about him.

key words: historical writing, Middle Morocco, Ibn Maryam Al-Madioni, Prospective Sufi notation, Holy Representation.

مقدّمة:

يقف ابن مريم المديوني في كتابه على عدد مهم من ترجمات الأولياء والصلحاء الذين كان لهم بتلمسان موضع: إما نشأة، أو زيارة، أو وفاةً، ويعد بحق كتاب (البستان) مصدرا أساسيا لمن يريد التعرف على الحياة العلمية، والأدبية، والثقافية في سمتها الصوفي بشكل خاص في تلمسان وأحوازها، خلال الفترة الممتدة من القرن السادس إلى القرن الحادي عشر للهجرة.

وأول ما يمكن ملاحظته في الكتب ـ الآتي ذكرها ـ مما تداوله الناس بتلمسان طوال مدة حكم بني زيان بها، تنوع مصادر كتّابها مشارقةً، ومغاربةً، وأندلسيين، ومنها كذلك ما كتبه علماء "المغرب الأوسط" وهو غالب المدونات التي حفظها كتاب (البستان) لنا، وسنقف في هذه الورقة البحثية على جهود ابن مريم في رصد الموقف العلمي ومشهده الصوفي من خلال نوعين من الكتابة الصوفية: شهود شخصية الرسول بتوسل السيرة النبوية وأحداثها، والكتابة المنقبية المستحضرة لأعلام الطريق شحذا لهمم السالكين.

المبحث الأول:

تمثل الرسول في المدونات الصوفية بتلمسان:

مما شاع بتلمسان الزيانية مؤلفات السيرة النبوية، المذكرة بمناقب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ظاهرا وباطنا، حقيقة وشريعة، لأنها وسيلة من وسائل ازدياد الإيمان، وطريق مؤد إلى امتلاء القلب بتعظيمه ومحبته[1]، وفي ذلك سعادة الدارين، وجاءت نثرا كما في تأليف (الشمائل المحمدية) لأبي عيسى الترميذي (ت279هـ)، وكتاب (الشفا بتعريف

حقوق المصطفى) للقاضي عياض اليحصبي (ت544هـ)، وشعرا كما فعل أبو محمد الشقراطيسي التونسي (ت466هـ) في منظومته، ومحمد بن سعيد البوصيري (ت696هـ) في (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) المعروف باختصار (البردة)، هذا جملة ما وجدناه[2] في كتاب (البستان) مما يخدم شرطنا.

ثم إن سعي هؤلاء المشايخ في مضمار السيرة النبوية تأليفا وشرحا ـ كما سنبينه ـ واستحضار شخص الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مدفوع بأمرين اثنين، دون إغفال أصل "التبرك" الذي جيء به أساسا في التعامل مع مثل هذه التصنيفات:

1 ـ التعريف بالرسول وسيرته بوصفها حقائق مادية، وتاريخية ظاهرة.

2 ـ توظيف حكمته[3] ـ عليه السلام ـ وأسرار نبوته بوصفها بوالج روحانية باطنية، فهو الأول في "الخلق" بوصفه حقيقة روحانية، والآخر في الظهور بوصفه حقيقة بشرية، ولا نود أن نشير إليها بما اصطلح عليه ابن عربي في منظومته الإصطلاحية بـ(الحقيقة المحمدية)، وما ينجر عقب ذلك من الوظائف المنسوبة إليها بناءً على أنها أول التعينات والحقائق، لبعد ما بين تصور ابن عربي المتطور لهذه الحقيقة[4] وما تضمنته كتب السيرة النبوية التي نحن بصدد دراسة حضورها بتلمسان.

ومن المتحقق نظرا، أن المقالة في صورة شخصية الرسول لن تخرج بمجملها عند الصوفية بعامة عن القدر الذي عبّر عنه أبو العلا عفيفي في نظريات (الكلمة Logos) في الإسلام، الدائرة في فلك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقول في طبيعته، وخلقه، ومنزلته من الله والعالم، وذلك في قوله: "شاع في أوائل عهد الإسلام القول بقدم محمد صلى الله عليه وسلم أو بعبارة أدق بقدم (النور المحمدي) وهو قول ظهر بين الشيعة أولا، ولكن لم يلبث أهل السنة طويلا حتى أخذوا به واستندوا في دعواهم على بعض الأحاديث، ويظهر أن أكثرها مدخول على الإسلام، منها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [أنا أول الناس في الخلق]..."[5]، وانبنت هذه الرؤية أساسا على سريان النفَس

المحمدي في الوجود، وانتقلت من جيل إلى جيل، وتتمظهر في الخلق . كلٌّ بقدره . بدءًا بآدم والأنبياء والمرسلين والأولياء والأقطاب، حتى تمثلها شخص الرسول في صورة الخاتم وتجلت فيه بأكمل تجلٍ[6].

ويحسن التنبيه على أنه قد يكون أصل المدونة تاريخيا صرفًا كما في الأمر الأول، ثم ينزاح إلى الأمر الثاني بفعل الشارح ذي الميل الصوفي، وقامت على أساس هذا النموذج ما عرف بـ"المولديات" أو "شعر المولد" الشائع بالمغرب عامة، وقد أخذ منه البلاط الزياني قدرا لا بأس به.

وبالعودة إلى الكتب التي أشار إليه ابن مريم في (البستان) نلحظ أن اهتمام المزارقة[7] بهذا النوع من الكتابة والتوجه السلوكي كبير جدا، فهذا ابن مرزوق الحفيد الذي شرح (الكواكب الدرية) للبوصيري ثلاثة شروح، عنون الأكبر منها بـ(إظهار صدق المودة في شرح قصيدة البردة)، وقد استوفى فيه الغاية وضمنه سبعة فنون في كل بيت، كما أنه شرح على لامية الشقراطيسي في مدح الرسول بعنوان (المفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطيسية)[8].

واستمر المزارقة في رعاية (البردة) وإقرائها حتى وصل سندها إلى حفيد الحفيد ابن مرزوق (كان حيا سنة 918هـ)، أحد الأعلام التلمسانيين في زمانه، وبه ختم بيت ابن مرزوق، ويرويها عنه أبو عبد الله بن الإمام بن العباس، إضافة إلى أخذه عنه كتاب (الشفا) للقاضي عياض[9]، ولهذا الكتاب أيضا مكانة عند أهل هذا البيت خاصة عند الجد الرئيس (ت781هـ) الذي عُدّ لمغاليقه فاتحا، والكل من شرحه يعبّ ماتحا، فلا سند فيه يعلو على سنده، وذكر له صاحب البستان شرحا عليه وصفه بالنفاسة[10]، وهذا ما جعل فقيه تونس البُرزلي يطلبه لما دخل تونس رغبة في قرب المأخذ، وعن طريق البرزلي رواه الحفيد عن جده الخطيب (الرئيس) وذلك في إجازته التي كتبها للحفيد[11].

وختما لحديثنا عن كتاب (الشفا) نقول: إن الاعتناء بهذا الكتاب قراءةً وشرحًا لم يقتصر على بيت بني مرزوق فحسب، بل كان غرضا للشريف التلمساني وأهل بيته، فقد قرأه الوالد "الشريف التلمساني" على ولده عبد الله[12]، وسمعه أيضا عبد الرحمن أخو عبد الله ابن الشريف التلمساني (ت826هـ) من الشيخ أبي القاسم عبد الله بن رضوان ـ ولعله النجاري (ت782هـ) ـ وأجازه[13]، كما اهتم بشرحه كذلك محمد بن علي التلمساني[14] (ت921هـ) في كتابه (المنهل الأصفى في شرح ما تمس الحاجة إليه من ألفاظ الشفا).

وأما بخصوص منظومة (البردة)، فقد شرحها كل من: سعيد العقباني[15] (ت811هـ) والد قاسم، وأحمد بن الحاج الورنيدي، بيد أن هذا الأخير "لم يكمله، قيل له: ولم لم تكمله؟ قال: لأني انتقلت من رتبة إلى رتبة أعلى منها، جمع فيه بين شرح الحفيد ابن مرزوق وشرح العقباني.."[16].

وأما الكتاب الأخير الذي اخترناه ممثلا لهذا النوع من الكتابة، فهو: كتاب (الشمائل المحمدية) لأبي عيسى الترميذي، ولم يذكر ابن مريم من أخذه من الأعيان سوى ما كان من أبي عبد الله بن الإمام بن العباس عن ابن مرزوق[17] "حفيد الحفيد".

ويعود سبب انتقائنا لهذه المدونات الأربع (الشمائل)، و(البردة)، و(الشقراطيسية) و(الشفا) دون سواها من كتب السيرة النبوية رغم إيراد المديوني لها كـ(سيرة ابن إسحاق) ومحاولة رصدنا واقع التصوف من خلالها، إلى تكوين مؤلفيها بالدرجة الأولى، ثم إلى مساوقة مضمون الكتب لروح الشيوخ والعامة على حد سواء، وحين نقول بتكوين المؤلفين نشمل أيضا منزلتهم في قلوب الناس وهذا ما لمحناه في الكتب كلها.

وإذا أخذناها واحدةً واحدةً، فسنقول: إن كتاب (الشمائل) من كتب الرعيل الأول الذين اتفقت الأمة على إمامتهم وإجلالهم، فصاحبه أبو عيسى الترميذي من العلماء

المبرزين في علم الرواية، وخدمة الحديث بكتابه المشهور بـ(السنن)، حتى لا يكاد يعرف إلا به، فيقال: (سنن الترمذي).

ثم إن كتاب (الشمائل المحمدية) كان المادة الأولى لأوسع تأليف فيما يعرف بـ(الشمائل) الذي يعود ليوسف النبهاني (ت1350هـ)، الذي قال في مقدمة تأليفه يعد مصادره: "جمعت هذا الكتاب من آثاره في شمائله الشريفة صلى الله عليه وسلم، وأدخلت فيه جميع الشمائل التي رواها الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي.."[18]، وكتابات النبهاني تعج باللمحات الصوفية، بل هو صوفي يكتب على سنن القوم، وعُرف باهتمامه البالغ في تتبع المدائح النبوية كما في (المجموعة النبهانية)، وجمع ثناءات على الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم في رسائل[19].

وأما (البردة) التي للبوصيري، فقد اغتنمت أيما اغتنام في المجال الصوفي، بل هي النموذج الأمثل الذي ساعد على "صياغة الحقيقة المحمدية النثرية، وتحويل المواجيد والابتهالات والمناجاة والصلوات للرسول وعليه إلى نظريات فلسفية بل عقائد صوفية.."[20] وقد حُفظ لنا شرح ابن مرزوق الحفيد، وظهر بعد خفاء ليزيل اللثام على المنزع الذي من أجله تُشرح مثل هذه المنظومات، لاسيما وأن قصيدة (البردة) أقرب النصوص إلى قلوب أهل التصوف حتى جعلت قربى يتقرب بها استنساخا لتجربة البوصيري في سبب نظمها.

ولم يغفل ابن مرزوق هذه الدواعي وسار يتتبع النفس الصوفي للقصيدة تتبع العارف الأثري، إذ "في حديثه عن الإشارات الصوفية حديث عالم، لم يفقد موازينه، بل أبقى على المقصود الصحيح والمنقول الموثوق به الذي لا يرفضه الذوق العام... [كما] خصص ابن مرزوق جانبا مهما في ترجمة الإشارات الصوفية، وبحث في آرائهم ومعتقداتهم، وتصوراتهم بحيث أظهر ثقافة أهل التصوف، وتضلعه في العلوم الباطنية وتياراتها"[21].

ولعل رسم مظهر التصوف بتلمسان من خلال هذا الجهد لابن مرزوق في شرحه للبردة قد لوح عن اتجاه سني يرفض الإغراق العرفاني والتنظير الفلسفي سيما في مراعاته لذوق العامة، طبعا دون نفي تضلع المشايخ عامة ممن كان في مقام ابن مرزوق من معرفة ـ ولو يسيرة ـ بالتيارات العرفانية والإشراقية، فإن هذا يعد منقصة في حقهم، بل ويتحدد جليا ـ بعد التلويح ـ منابع تصوف ابن مرزوق في شواهده الصوفية التي أتى بها، مما يدل على أنه "استفاد كثيرا مما كتبه أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، وما كتب عن الجنيد القواريري"[22].

وأما عن انتقائنا لمنظومة الشقراطيسي، فلأنها من أولى المطولات المدحية، إذ بلغت عدّتها ثلاثا وثلاثين ومائة بيت، وهي كما قال عنها ابن عمار الجزائري (ت، نحو 1205هـ) في (نحلة اللبيب): "من القصائد العظام، البديعة النظام، الرائقة المعاني، الوثيقة المباني وهي من الطراز الأول، وعليها في هذا الباب المعول"[23]، أي: في باب المدائح النبوية، فهي غرة القرن الخامس الهجري وفاتحته، وعليها جرى من بعده في سلك محبي المصطفى، "وقد أولع الناس بها كل الولوع، واستحسنوا من محاسنها كل مفرق ومجموع، وعنوا بها شرحا وتخميسا وغنوا بها معهدا أنيسا"[24].

واستعان ناظمها بالمادة التاريخية من أجل توظيف الحكمة وتطلّب البركة بكتابتها وقراءتها على نحو مقاصد المتصوفة، ولما افتقدنا شرح ابن مرزوق الحفيد لها، استندنا إلى قول محمد بن محمد قاضي القلعة لتجلية المقصود، وقد أبان مؤكدا هذا المعنى في شرحه لها: "وأنا أسال الله ببركة هذه القصيدة، ومن قيلت فيه، وهو عروس المملكة، وقطب الكائنات وسيد أهل الأرض والسماوات، أن يجعلني وجميع المحبين لهذا النبي الشريف في ظل لوائه.."[25].

وأخيرا، فيما يتعلق بكتاب (الشفا) للقاضي عياض فإننا نلمح بروزا واضحا لمظاهره في كتاب (وسائل الوصول)، وقد أبان النبهاني عن ذلك بصريح العبارة[26]، كما لا يخفى

الجانب الزهدي الذي كان عليه القاضي عياض، كيف لا، وهو: الضلع الأول المشكل لظاهرة (الرجال السبعة بمراكش)[27]، ويرجع اصطفاؤه من مئات الصوفية الذين كانوا بتلك البلاد إلى أسباب عديدة ليس هذا موضع ذكرها، ويكفي أن نشير إلى أن الاختيار مبني على أساس صوفي بحت ما دامت الظاهرة (السبعة رجال) ظاهرة تتملّى بالروحانية والطقوسية، وقد برز بشكل واضح من خلال: الأشعار، والروايات، والأخبار عن الزهاد خاصة في الفهرست الذي وضعه لمشيخته (الغنية)[28]، بل ذكروا[29] أنه كان على علاقة بابن العريف (ت526هـ) رغم خفاء نوعها لقلة المصادر المشيرة إليها.

المبحث الثاني:

الكتابة المنقبية.. تدرّجٌ في المسلك، وسلوان على الفقد الأكبر

ومن فيض النبوة الأطهر يمم طائفة من المشايخ التلمسانيين مجردين أقلامهم لكي يتتبعوا خطى الأولياء والصلحاء والبدلاء، رغبة منهم في التبرك بآثارهم والتخلق بأخلاقهم فهم أولى الناس بحسن الجيرة، وبصنيعهم هذا يحفظون ودًّا لا ينقطع بين الشيخ والمريد ويظهر من إحصاء التآليف التي كتبت في هذا المجال أن العدد كبير نوعا ما، وفيه خصوصية معتبرة، إذ أغلبها كانت منشأة من قبل أشياخ تلمسان غير مختصرة من أصول مشهودة، وهذا الجانب مما فاقت فيه تلمسان بجاية على العموم.

ولعل أشهر هؤلاء المعتنين بالكتابة المناقبية، هو: محمد بن صعد التلمساني (ت901هـ)، مؤلف (النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب)، والكتاب عبارة عن موسوعة كبيرة ضمت الكثير من تراجم المتصوفة في العالم الإسلامي كله، وله تأليف آخر في مناقب ومآثر الأولياء وكرامتهم، بعنوان (روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين)[30].

ولأحمد بن الحاج الورنيدي كتاب (أنيس الجليس في جلو الحناديس عن سينية ابن باديس)، وربما اختصر إلى (شرح النفحات القدسية)[31]، وقد عمد المصنف فيه إلى سينية

أبي علي الحسن بن باديس (ت787هـ) المضمنة في كتابه (النفحات القدسية)، والقصيدة تعريف لأربعين قطبا من أقطاب التصوف، "وقد لاحظ ابن الحاج أنه لا يعرف أحدا قبله وضع شرحا على القصيدة، وقد جمع في شرحه بين التحليل الأدبي والصوفي"[32].

كما لم تخْف مشاركة ابن مرزوق الحفيد في هذا الصدد، فذكر له ابن مريم[33] كتابين أحدهما بعنوان: (نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين)، ألفه في شأن البدلاء، وتكلم فيه على حديث في أول كتاب (حلية الأولياء) لأبي نعيم، وأما الكتاب الآخر، ففي مناقب شيخه الولي الصالح إبراهيم المصمودي التلمساني (ت805هـ).

ولم يكن الجو الصوفي بتلمسان خامدا من الردود العلمية فيما يخص هذا الحقل المعرفي، لاسيما في القضايا السلوكية التربوية أو مما يمكن أن يقدح في قصد السالك، لذا أخذوا على عاتقهم محاجات التقويم والتصويب ولو على حساب صحبة في الدين قديمة، ولا يدل هذا إلا على صفاء في النصح، ورحمة بالخلق إذا مالوا إلى غير الهدى، فقد سبق لنا الإشارة إلى رد ابن مرزوق الحفيد جادة التأويل المغرض لما جاء في (البردة) بما يوافق ذوق العامة الصوفي.

وقد كان لهذه المراعاة ما يستوجب من المؤلفين أنفسهم التقيد والتحرز وبالمقابل قد يسعون إلى التغليظ في الإنكار على من له رتبة في قلوب الناس، حفظا لكينونة الدين من التفلت، وإبقاءً لصورة الصوفي في أبهى حللها، وإن تحليل مثل هذه الردود مع تحديد نقطة الخلاف وتعيين الرادين من المردود عليهم وإبراز مكانتهم لمن المحددات الدقيقة في كشف وجه التصوف بشكل خاص.

ولم نجد ما يوافق شرطنا في كتاب (البستان) سوى ما كان بين قاسم بن سعيد العقباني وابن مرزوق الحفيد، وقد فعل السن المتقارب ما يفعل بين القرينين، وبتعدد خرجات العقباني في اختياراته الفقهية تعددت ردود ابن مرزوق عليه[34]، وبعد التنقيب

على ما يخص التصوف وسياقه، وجدنا أن لابن مرزوق الحفيد كتابا بعنوان (النصح الخالص في الرد على مدعي الكمال الناقص)، وهو: "في سبعة كراريس ألفه في الرد على عصريه وبلديه الإمام قاسم العقباني في فتواه في مسألة الفقراء الصوفية لما صدق العقباني على صنيعهم"[35]، ولعله يقصد ما نقله الونشريسي (ت914هـ) في معياره، من جواب قاسم العقباني عن الاجتماعات الصوفية والعوائد التي يفعلونها[36].

كما لا يبعد أن المسألة قد أخذت منحى آخر واستغرقت بال العقباني حتى نظم فيها (أرجوزة)، وهذا ما ذكره ابن مريم بقوله: "وأرجوزة تتعلق باجتماع الصوفية على الذكر"[37]، ومن جميل اللطائف أنه حين مات دفن قرب ابن مرزوق الحفيد، فرحمة الله على الجميع.

ولهذا الخلاف أبعاد قد تخفى على من اعتمد على مجرد المسح التاريخي دون التحليل الموضوعي، لذا جرى منا التأكيد على تتبع الردود لتحديد المذاهب، وتصنيف الرجال، ويكفينا ما رضيناه من مثال جادت به المدونة المعينة، فنقول: لم يكن مسار ابن مرزوق في التصوف مثل الذي كان عليه قاسم العقباني، رغم اشتراكهما في كثير من الكتب شرحا وتدريسا، فقد غلب على الأول الفقه "علم الشريعة"، وبالتالي كانت ممارسته أشبه بحدة قبض القاضي عياض على الزهد المتسنن، وأما العقباني، فقد سرح في مسارح الطرق والاجتماعات، مع الحفاظ على سنيتها من خلال الاستدلال لها بعموم الأدلة، فاتفقوا على وجوب انضباط حال الفقير بالشرع الشريف، وخالف العقباني ومن سار مسراه في رفع الحرج عنه، إذا قام به من الحال ما لا يعرفه غيره من نفسه.

فالوضع بتلمسان إذن لم يخرج عن إطاره السني العملي، وقد يرتقي قليلا فيكون فلسفيا على سبيل أطروحة الغزالي، ولكن بدرجة تخص الأفراد، وأما التنظيرات الإشراقية الفلسفية فلم تكن مقبولة عندهم ولا مستساغة، ولا نعني بهذا جهلهم بها، فالعلم بها

لذاتها شيء والعلم بها لنشرها شيء آخر تماما، ولا يسمح لنا إطار البحث أن نلج في معاطف أخرى[38].

خاتمة:

نستطيع من خلال ما سبق إضاءته الخلوص إلى بعض النتائج المهمة في حل شفرات عنوان الورقة البحثية التي أزمعنا الخوض فيها، فنقول:

. لابد من إعادة الاعتبار إلى المدونات الوسيطية للغرب الإسلامي وخاصة التاريخية منها على شتى أنواعها (حوليات، طبقات، التاريخ الكرونولوجي)، وذلك لتبيّن المشاهد الثقافية الوظيفية، وأعني بها: ما تم على مستوى الفرد تجربةً.

تأكيد كتاب (البستان) على سمة تبلوت مذ بدأ الصوفية الكتابة عن أنفسهم ونهجهم، وهي: التذوق، وهنا ملحظ مهم جدا، يمكن صياغته من خلال هذا السؤال: كيف تجتمع صرامة التاريخ مع تذوق وشاعرية السارد؟، وإلى أي مدى يمكن رسم الحدود بين الشخصية التاريخية في سيرورتها والشخصية المعادة التشكيل لغاية من الغايات، ونرجو أن نخصص لهذا مقالا برأسه.

. خروج الصوفية في اعتنائهم بالسيرة النبوية عن تمثل محمد (النبي) الذي شحن كتابات الأخباريين، حيث توسلوا بالصفات الظاهرة والأحداث والوقائع إلى استجلاء النفَس المحمدي في الأمكنة والأزمنة.

. ضرورة الاحتفاء بالفهارس والمشيخات، وتاريخ الحواضر المخصوصة من أجل الكشف عن البرامج التعليمية المبثوثة حينئذ، وطرق التدريس، وكيفية التمدرس.

الهوامش:

[1] . ومحبته صلى الله عليه وسلم لا تكون إلا بمعرفته، ومعرفته توجبه حق اتباعه، وبه ينال العبد حب ربه إياه، وتلك غاية الغايات، قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران : 31.

[2] . ذكر ابن مريم لابن صعد التلمساني تأليف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. **ينظر** : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى بمراجعة أصله: محمد ابن أبي شنب، دون طبعة، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص 251.

والذي يظهر أن التأليف المقصود هو كتابه الذي بعنوان (مفاخر الإسلام في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام)، ولم أدرجه في سياق تآليف السيرة إلا أنه قريب منها لتعلقه بشخص النبي صلى الله عليه وسلم من جانب، ولإفصاحه على النية التبرك بخدمة المحبوب المصطفى والتوسل به بروح صوفية ابتهالية من جانب آخر. **ينظر** : ابن صعد التلمساني، مخطوط مفاخر الإسلام، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، 167 /8، ل 2 ول 3.

3 . وقد عبر عنها ابن عربي بـ(حكمة فردية) في الفص الذي خصصه (للكلمة المحمدية)، فقال : "إنما كانت حكمته فردية لأنه أكمل موجود في هذا النوع البشري". ابن عربي، فصوص الحكم، علق عليه: أبو العلا عفيفي، دون طبعة، دار الكتاب، بيروت، دون تاريخ، ج 1، ص 214.

4 . ذكرت سعاد الحكيم هذه الوظائف، ونبهت على مذهب ابن عربي في العلاقة بين (شخصية محمد صلى الله عليه وسلم والحقيقة المحمدية)، ومن مرادفاته : الكملة المحمدية، الإنسان لكامل، النور المحمدي، حقيقة محمد، نور محمد عليه السلام. **ينظر** : سعاد الحكيم، المعجم الصوفي (الحكمة في حدود الكلمة)، ط1، دار ندرة للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص 347 وما بعدها.

5 . أبو العلا عفيفي، نظريات الإسلاميين في الكلمة (The Logos)، كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، المجلد 2، ج 1، 1934 م، ص 46.

6 . المرجع نفسه، ص ص 46، 47.

7 . من البيوتات المشهورة بتلمسان على غرار "بيت أولاد الإمام"، و"بيت العقباني" وغيرهم، وكشف صاحب البستان عن حال المزارقة ثم أحصاهم عددا فقال في ترجمة الجد (الرئيس) : "وبيته بيت علم ودراية ودين وولاية وصلاح، كعمه، وأبيه، وجده، وجد أبيه، وكولديه محمد وأحمد وحفيد الإمام النظار الحفيد ابن مرزوق وولد حفيده المعروف بالكفيف وحفيد حفيده المعروف بالخطيب وهو آخرهم فيما أعلم". ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص ص 189، 190.

8 . **ينظر** : المصدر نفسه، ص 210.

تتمة : الشرح الكبير (إظهار صدق المودة) مطبوع وسأذكره بعد حين، أما الصغير الذي بعنوان (الاستيعاب) و(المفاتيح القرطاسية) ويقال عنه تارة (الذخائر القرطاسية) فلا يزالان مخطوطين، أما الشرح الأوسط فهو في حكم المفقود والله أعلم.

9 . **ينظر** : ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص 258.

10 . **ينظر** : المصدر نفسه، ص 189.

11 . **ينظر** : المصدر نفسه، ص 150.

12 . **ينظر** : ابن مريم المديوني، المصدر نفسه، ص 118.

13 . **ينظر** : المصدر نفسه، ص 128.

14 . شرحه هذا لا يزال عداد المخطوط فيما أعلم. **ينظر** : المصدر نفسه، ص 220.

تنبيه : محمد بن علي هذا ليس مقصودا بالترجمة كما في البستان، وإنما أتى به ابن مريم حاكيا لحال محمد بن الحسن الشهير بـ(أبركان)، فذكر أن للحاكي شرحا لكتاب (الشفاء)، بيد أن صاحب الترجمة (أبركان) له ثلاثة شروح عليها، الأول كبيره (الغنية) في مجلدين، والثاني (الغنية الوسطى)، وآخر أصغر منه، وكان محمد بن علي كثير الأخذ من الشرح الأوسط لأبركان. **ينظر** : حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق وتصحيح : محمد شرف الدين يالتقايا، دون طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د تاريخ، المجلد 2، ص 1053.

15. **ينظر** : ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص 106.
16. المصدر نفسه، ص 23.
17. **ينظر** : المصدر نفسه، ص 258.
18. يوسف النبهاني، وسائل الوصول إلى شمائل الرسول، ط2، دار المنهاج، بيروت، 2004، ص 29.

تنبيه : استعنا بكتاب النبهاني لبيان ما قد يوظف فيه مادة كتاب (الشمائل) من المشايخ ذوي الإتجاه الصوفي، وبه نستطيع القياس على ما غاب عنا من تآليف العلماء التلمسانيين الذين اعتنوا بكتاب (الشمائل).

19. لتفصيل أكثر في المؤلفات، **ينظر** : حسن حنفي، من الفناء إلى البقاء ـ محاولة لإعادة بناء علوم التصوف ـ (الوعي الموضوعي)، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009، ج 1، ص 579.
20. المرجع نفسه، (الوعي الذاتي)، ج2، ص 577.
21. لولا أن المجال لا يتحمل أكثر من هذا لسقنا بعض الأمثلة، ولكنا اكتفينا بما يدعمنا مما جاء في مقدمة التحقيق. **ينظر** : الطاهر بن علي، إظهار صدق المودة في شرح البردة لابن مرزوق الحفيد ـ دراسة وتحقيق ـ، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2013 /2014م، ص 201.
22. **ينظر** : تقديم المحقق، المصدر نفسه، ص 219.
23. عبد الجليل شقرون، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب لابن عمار أبي العباس أحمد ـ دراسة وتحقيق ـ ، أطروحة دكتوراه في تحقيق المخطوطات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016 /2017م، ص ص 336، 337.
24. العبدري، الرحلة، ص 134.
25. قاضي القلعة محمد بن محمد، شرح الشقراطيسية، تحقيق : محمد الشاذلي النيفر، دون طبعة، المركز الوطني للبحوث والدراسات التابع لآل البيت، فلسطين، د تاريخ، ص 23.

تنبيه : لم أعثر لمحمد شارح الشقراطيسية على ترجمة فيما أملكه من المراجع.

26. **ينظر** : يوسف النبهاني، المصدر السابق، ص 30.
27. **ينظر** : حسن جلاب، الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب (ظاهرة سبعة رجال)، ط1، المطبعة الوطنية، مراكش، 1994، ج 1، ص 153.
28. **ينظر** مقدمة المحقق : القاضي عياض، الغنية، تحقيق : ماهر جرار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص 15.
29. **ينظر** : آنخل بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، دون طبعة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1955، ص 283.
30. وقصد بالأربعة : محمد الهواري، وإبراهيم التازي، والحسن أبركان، وأحمد بن الحسن الغماري. **ينظر** : ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص ص 251، 252.

تتمة : كتاب (النجم) ما زال مخطوطا، أما كتاب (الروضة) فقد طبع بتحقيق : يحي بوعزيز، مذيلا به كتاب (فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة) لمحمد بن العنتري، دون طبعة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009.

31. **ينظر** : ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص 23.

ملحوظة : هذا الكتاب مطبوع بتحقيق : الميسوم فضة، غير أني عدمته ولم أظفر به، لذلك سأنقل كلاما لأبي القاسم سعد عوضا عنه.

[32] . أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج 2، ص 128.

[33] . **ينظر** : ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص 211.

تتمة : الكتاب الأول مطبوع بتحقيق عبد الحليم، بن ثابت، وأما الكتاب الثاني فلم أقف عليه، وربما هو في حكم المفقود كما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله. **ينظر** : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 68.

[34] . **ينظر** : ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص 147.

[35] . المصدر نفسه، ص 211.

تتمة : والظاهر من الكتاب أنه في حكم المفقود والله أعلم.

[36] . **ينظر** : الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه: جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دون طبعة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ج 11، ص 48.

[37] . ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص 148.

[38] . ولو تخيرنا الولوج لبرز أحمد البرنسي (زروق) كراتق لما تفتق من المدرستين بتلمسان (مدرسة الفقهاء ومدرسة الصوفية)، وجهوده الحثيثة في الجمع بينهما من خلال مؤلفاته الكثيرة، وتوجهه الذي أسس أو أعاد ضبط قواعد التصوف، فوقع الصلح بينهما لموقفه الوسطي المعتدل، بل لقد تغير رسم التصوف بمجيئه، وفضلا على محاولاته التي قارب بها الحقيقة والشريعة، ومجهوداته في التصويب، والتشذيب، والتهذيب، يعد حلقة واصلة بين حاضرة بجاية التي شهدت نشاطه وتأليفه فيها، وبين تلمسان التي شرح لبعض مؤلفات مشايخها الذين مر ذكرهم في البحث. وله ترجمة حافلة في البستان تعرض ابن مريم له فيها لكثير من تواليفه، وللاستزادة أكثر في هذه النقطة المهمة، **ينظر** : (الفصل الثاني والرابع) من **كتاب** : علي خشيم، أحمد زروق والزروقية (دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة)، ط3، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002.